مالك حداد

الشقاء في خطر

شعر

ترجمة: عبد السلام يخلف

منشورات وزارة الثقافة

منشورات الاختلاف

الشقـــاء في خـطـر

مالك حداد

الطبعة الأولى 2005 / 2000 نسخة

تصميم الغلاف : بشير مفتي

الإخراج : منشورات الاختلاف

بدعم من مديرية الفنون والآداب

تحت إشراف د. ربيعة جلطي

مالك حداد

الشقاء في خطر

شعر

ترجمة عبد السلام يخلف

منشورات الاختلاف



إلى صديقي الشاعر الجزائري

أنت لست جزائريا وكفى ولذلك وحتى تكفل التضامن مع الأخرين عليك ألا تضخم سوى لا مبالاتك.

م.ح



أعلم بأنك تتساءل ما إذا كانت قصيدتك تساوي أغنية أكثر جـآشا وهذا لا يهم. المهم يربض في أزمة ضميرك لأنك فهمت بأن لا وجود لتعارض بين القلم و الأغنية الأكثر جآشا.

لقد رجّك التاريخ بمعناه النبيل وأنت تحس بأن لك الحق في رجّه وهذا ما يشبه تماما الإحساس الذي يعترينا ونحن نقف أمام الأشجار التي حُكم على أغصانها أن تقص كي تصنع منها مؤخرات البنادق.

لا شيء أجمل من السلام...

لكي يصبح التاريخ حكايات وجب علينا أيضا حسم الخيار بين القيلولة عند جذع شجرة أو الأغنية الأكثر جآشا.

في التشريح الغريب للمفردات تلتحم كلمتا المهمة والواجب. لي جملة من الواجبات علي تأديتها وبعض المهام تنفيذها.

لم يكن قدرُ الغابات أن تتحول إلى قطعة خشب في مؤخرة البندقية ولم يكن قدر الأقبية الرطبة أن تعطي ملح البارود لتقتل الحياة.

لا تحصل الأعضاء دوما على الوظائف التي ترتجي.

أيا صديقي الشاعر، فلنمنح الذكاء بعض القلب ولنزرع في القلب بعض الذكاء.

أريد براكين عاقلة.

السعار هو صلع العقل والانفعال الصحي.

تغط ريشتك في الجداول التي تجر جثث الثعابين المنتفخة النتنة، الثعابين التي تمقت المياه النقية الطروبة.

محبرتك الينبوع: الإنسان في كلّيته.

في آخر معجم وآخر كتاب للمختارات أصبحت كلمة Héros تعني: الإنسان.

أعرف قلمك كما أعرف أطفالنا وطيبتنا. أعرف قلمك تماما كما حالة الحصار. كما الأصدقاء. كما وادي الرمال بدموعه البربرية الساخنة.

أعرف "كاتب ياسين" ومركزه في التاريخ.

أعرف كاتب ياسين وهو يجدد معرفته للإقامة في جسد لا يطوقه سوى الحمقى*.

و"محمد ديب" بإرادته الطيبة طيبة الدرس الجيّد...

أعرف "رولان دخان" Rolland Doukhan الذي فاقت أحلامه تمنياتنا حين قال:

حلمت بوطن شاعر...

أعرف "كراز" صاحب الأغنيات التي ستجيء.

أعرف "محمد العيد" الذي أدخل السجن لأنه كان في مستوى لغة غاضبة.

أعرف كذلك "جون سيناك" Jean Seynac الطافح بالموهبة والإمعان.

المخلص لوطنه الجزائر أكثر من إخلاصه لبهلوانيات القلم.

أعرف جميع هؤلاء. أصحاب البذلة المعاصرة منهم والجلابة. كلهم هنا حاضرون وهم يقولون لنا:

نحن جاهزون.

أيا هذا الشاعر صديقي. أعرف أن في قلمك دوما قطرة من التفرد.

******

يلد التاريخ حتى ولو كان مكبلا بالسلاسل.

كل شيء قادر على إدهاشنا.

الهندسة التي أصبح دورها قياس الزاوية القاتلة لدليل الارتفاع القابع فوق ظهر البندقية البشعة.

هذا لن يفيدني في شيء بالتأكيد...

وجب علي تقديم هذا الاعتراف الخطير:

كنت اذا ما ركبت القطار في صباي فمن أجل النزهة وعندما يلتصق أنفي بالنافذة الزجاجية أعتقد أن عينيَّ ستريان دوما أعمدة تلفرافية لم تتعرض للقص.

أنت اليوم يا صديقي تنظر إلى ما أبعد من أنفك،

أبعد من واجهات المحلات التي لم تطأها قدماك،

أبعد من الأعمدة التي هناك في أقصى المسافة ترقّص السنونوات

عندما يمضي القطار...

عندما يمضي القطار...

الوقت الآن للاحترام.

أنت اليوم تنظر إلى ما أبعد من طرف البندقية و أبعد من طرف القلم.

يجب عليك أن تفادر يا صديقي كي تستمر.

لقد مدحك "أراغون" Aragon حين أسماك "عصفور أعلى غصن" وإذا ما كان يرغب في رؤية احمرار وجهك فلم يكن ذلك من قبيل الزهو أو الخيلاء.

لقد فهم "ماياكوفسكي" جيدا لكنه كان وحيدا.

وحيدا مثل الحارس.

وحيدا مثل الإنذار.

كان وحيدا، شامخا، مأساويا، بهيا، لاذعا.

كان شاسعا مثل حواف الحقول.

ألصق أنفه بزجاج النهار.

هل سنعرف يوما لماذا تطاير الزجاج شظايا ؟

إنك تتساءل ما العدو؟

العدو رجل له يدان ورجلان مثلك تماما لكنه لا يصدق الربيع إلا إذا رآه مثبتا على الرزنامة.

إن كمال الإنسان يكمن في علم، في برتقالة، في خريف دافئ دفء نهد امرأة نحبها. في كل رجال العالم الذين سيصافحون بعضهم البعض إذا لم تبتر أياديهم.

ستبلغ هذا الكمال بعد أن تقلب شقاءك رأسا على عقب.

تجوّل في الصحراء.

تجوّل مع صحرائك واجعل منها حكمة مثل وردة الرمل.

اجعل منها شيئا يكون في ذات الوقت حكمة و وردة.

أنت الآن هنا مستعجل، متشنج، لئيم. لؤمك الواعي هو أحسن مواهبك لأنك لم تصبح إلها بعد.

عندما تنتهي من تقليب شقائك ولؤمك رأسا على عقب سوف تتذكر الصيادلة. هؤلاء الرجال الصغار الباهتون الذين ما لهم من مهمة سوى توزيع المشروبات الصحية.

تحوّل إلى صيدلي وليقتلك الضجر خلف قواريرك الزجاجية. ليست لدى هؤلاء الرجال الصغار طموحات كبيرة لذا وجب الانتقام لهم. وجب تحويلهم إلى جداول ووديان وأنهار.

اجعل من المجرّات كرات ترميها في الفضاء لتتسلى بها.

كن بسيطا وطيبا.

إن أقصر طريق بين النقطة والنقطة ليس هو الخط المستقيم.

عندما يقصد الجندي الحرب فلا شيء يدفعه للغناء.

احترم الأزهار ولا تضعها في فوهة بندقيتك.

إذا جاءتك يوما ما في إحدى الأمسيات الساخنة الرغبة في القيلولة رجاء

فليكن ذلك في سفح جبل يكسوه البنفسج.

إن هذه المهنة متعبة جدا ففيها تفقد الكثير من الريش ولكن مقابل ذلك

نبني الأغاني.

هذا ما قاله لي البلبل المفرد أفضل مني.

بلبل يكتسي حجم النسور حين يتحدث عن الحرية.

اسمه المحراث.

اسمه السقي.

هذا البلبل اسمه: القمح، القمح، القمح...

لا تكن مثل القبّرة التي تسرق الحنطة و تستغل أزمة السكن المستعصية

كي تغرس أغانيها في الثلم الذي لم تحفر.

أنت تقرأ خطوط كف العالم.

شخيرك يشبه صوت القاطرة وخجلك يشبه الحب الأول.

سوف تترجل كالجندي.

بعثر لؤمك ومزقه إربا إربا وتلك أحسن طريقة كي تجد سبيلك.

ذرهم يقولون...

ولكن ما الذي تفعله بحرقة الشوق؟

ما الذي تفعله بأزهار مايو؟

بقطع قوس قزح الذي يحتفل بقصص غرام سن العشرين؟

ذرهم يقولون...

أغلق فمك الكبير وتكلم. تكلم ولا يهمك ما إذا استمعوا إليك أم لا.

تمثالك سوف يشيده الآخرون.

تذكّر ما قاله ماياكوفسكي: "أنا أسخر من البرونز بالقنطار".

ما أطيب المجد الذي تبلغه الأغاني التي يُجهل أصحابها.

أسمّيك الفلكلور لأنك أكبر من وطنك. أكبر من قارة.

أنت تسمعني جيدا: أنت الإنسان.

البس الجزائر نعلا فقد وجد قدماك/الجندي، قدماك/التروبادور نعلا على المقاس.

امش. يجب أن تمشي. أن تمشي على الدوام. المشي هو طريقتك في الانتظار.

أنت تكتب لأنك تحب. إذا لم تكن عاشقا فاترك القلم جانبا. فبرجليك /الجندي وبرجليك/التروبادور سوف تشق الطرق والسبل المعطرة بالأساطير. المزروعة بالحلزون.

أغلق جهاز الراديو. لا تفتح الرسائل التي تجيئك. أنظر إلى أمك. ألا

ترغب في تقبيلها؟ الخد شيء رائع.

آنت طيار على شاكلتك لكنني أحذرك بأن محطات التوقف قليلة جدا.

سوف نحلّق إلى غاية وصيتك وأعلم أنك لن تبالي بذلك لأنك شاعر...

كل هذا يجب أن تصرخ به. أن تصرخ به حتى الحياة.

لن تكون هناك فوق حائط منزلكم لوحة تدل على الجامعة التي تخرجت منها بالرغم من أنك آحسن بكثير من أصحاب الشهادات. آنت نعت: أنت إنسان. لقد بنيت إنسانيتك...

أنت ذاك التوقع الرائع لنجار والذي هو نجار فقط وسيكون شاعرا. للطبيب الجراح الذي هو جراح فقط وسيكون شاعرا. لكناس الشوارع الذي هو كناس الشوارع فقط وسيكون شاعرا... أنت ذاك الضوء الوافد علينا من النجوم بعد قرون من السفر.

أنت الآن تحاول أن تستحق القمم.

هنالك عاليا سوف يبدو قلمك الصغير شيئا غريبا.

سوف تداعب مقبض منكاشك بنفس الاحترام ونفس اللامبالاة التي نكنها لمومس سخية مفيدة.

لقد آحسن "آراغون" القول:

"اصمتوا الآن كي أستمع إلى قلبي".

ولكنك سوف تغني بطريقة محكمة.

يا إلهي. يجب أن تنتبه:

أن تكون في مستوى الرجال.

أيا صديقي الشاعر. أتوسل إليك.

انتبه حتى لا تنتابك نشوة المنتصر الذي يحتقر غزواته.

لقد قاتلت من اجل العصافير.

ستكون حركاتك الدقيقة هي حركات الطيار وليست حركات الصياد الماكرة.

سوف تضاعف حبك وغريزة البقاء لديك.

يجب أن نفعل "الجمال" فقط. الفعل الأول الذي وجب تصريفه هو فعل.

سريعا أحذرك: أنت لست بمغامر. افعل ما هو واجب عليك.

لنحلل الوضع قليلا يا صديقي.

عليك الكثير من الأشياء وصولا إلى الجنيات اللواتي تحولن إلى أوكسجين وهيدروجين.

للماء حساب معك.

أنت تعلم: الماء في الجرة وليس داخل الكوب. الماء في بيته، في الينبوع.

سوف تشرب من الينبوع.

لا تغرق أبدا.

سوف تعرُفك الحمى على حماقتها.

سوف تشرب هناك فوق الجبل.

طعم الدم كريه.

أنا أفضل الندى.

لكن هذا ليس حجة لتفادي الجبل. أنت طيار وتعرف ذلك جيدا. نحن لا نذهب إلى الجبل إلا بسبب السحاب.

السحب كائنات شريرة. للسحب أحيانا تجاعيد مثل تلك التي فوق الجباه التعيسة.

يجب أن نعري عيوننا.

أنا متأكد أنه باستطاعة الماء أن يحيا من دون الأوكسجين والهيدروجين.

كان يقال لنا في المدرسة: التويج، كأس الزهرة، البتلة وكنت أجيب: الزعتر. لم أر أبدا نبتة الزعتر لذلك أهز كتفيّ. كتفاي على ظهري. لي كتفين فوق ظهري وها أدخل الحياة وبين أصابعي غصن زعتر.

إني أغني باللغة الفرنسية. يا صديقي الشاعر. إذا ما استهجنت لهجتي عليك أن تحاول فهمي:

لقد أراد الاستعمار أن تكون لدي عاهة لغوية...

******

إذن هناك فوق الجبال سيعم الحزن والفرح والقدر المحتوم مثل المهمة

المنتهية. سوف تحدث الكثير من بقع الحبر فوق كراسك المدرسي وتنتقي مخطوطاتك. في البداية "قالمة". قرقور قبل كل شيء، مثلا "سيول". مثلا "أورادور". مثلا "فيركور. مثلا "أوكرانيا ...

وهذا الحطب الذي يرضى بمنحي شعلته حين أكون الشاهد على الغابات التي سننتقم لها...

انهض آيا هذا الذي يعرف أن الإنسان هو الذي يختار السبيل وأننا يجب أن نكبر.

سوف تقول: في فم "مالك" دوما كلمات باللغة الفرنسية. هذا غير مهم لأنه يمكن لكلمة "الجزائر" أن تنطق حتى باللغة الصينية.

نعم أيا "آراغون" هذه هي دراما اللغة**.

لو كنت أتقن الغناء لغنيت باللغة العربية...

******

لم يكن العسل يوما على خطأ ولكن لا أحب في النحل سلوكها البراغماتي. أما الأزهار فنعم. كلهن صديقاتي. أعرفهن جميعا. يا إلهي. أعرف حتى أسماءهن. سوزنجان قابع في الحقول أو شوك أقسى من قلب إمبريالي.

بلى، فرائحة الحقد تنبعث مني و إني لأفتخر حين كتبت:

أنا

يصدمني الحقد

مثل البذاءات

قبل كل شيء أنا عاشق...

رائحة الحقد تنبعث مني أي نعم. حقدي متشبع بالحكمة مثل الأكلة الضرورية للحياة. ثق أيا هذا فلم تكن لدي يوما شهية كبيرة.

شهيتكم نتنة أيها السادة...

سوف تحاول أن تستحق القمم.

سوف تعلن عن أغنيتك ذات الحضور الاستثنائي.

أنت لست ولا يجب أن تكون ولا تستطيع أن تكون ضد فرنسا. استمع جيدا. لقد لمحت في هذه الأمسية شيخا بقي مشتغلا بمحله إلى ساعة متأخرة من الليل. وكان صديقي الإسكافي يقص شريحة الجلد ويتناول قطعة جبن. أصابعه ثقيلة واثقة. بإمكانها أن تصافح الأيادي. أن تخيط الشرائط المزخرفة الفاتح من مايو أو أن تصفع وجه شخص سمج.

يجب ألا تنسى هذا الشيخ الذي كان يأكل الجبن حين قال لي: "لن أسمح لنفسي أبدا أن أخيط حذاء عسكريا".

ها ابنه يغادر باتجاه الجزائر للمشاركة في حرب لم يعلنها أبدا. فرنسا هي هذا الرجل. فرنسا ليست هي العدو. قد يكون هذا الشيخ الذي كان يعمل في محله إلى ساعة متأخرة من الليل هو أحد أقارب ديسنوس

Desnos" أو "بول إيلوار" Paul Eluard. التاريخ بهذا المعنى لم يكن أبدا تصفية حسابات.

******

أحيانا تعتري القوارب قشعريرة غريبة. لا تندد في أغنياتك بفرنسا بل بهؤلاء الفرنسيين الذين يجعلونني أتردد في وضع حرف كبير لبداية الكلمة التي تدل على جنسيتهم. الفرنسيون الذين لم يكنوا أي احترام لذلك الشيخ الذي ربما كان أحد أقارب "ديسنوس" أو "بول إيلوار".

هناك حين تبلغ القمم، حين تستحق القمم تكون يداك نظيفتين.

لا فرح يأتي من الغضب.

ليس في مقدور أي أغنية مقاومة السهول التي لا ترضى سوى أن تكون ميدانا للقتال. والجسور التي تدمر الآن يا صديقي لدليل على أنه من الواجب أحيانا رد اليد التي تود مصافحتنا.

أيا صديقي الشاعر. إذا لم تنعم الأعمدة التلغرافية بقامتها وذهبت أشجار البرتقال لتنام قليلا، اعلم أن هذا الانهيار العصبي شيء ضروري.ما زلت أسمع صوت ذلك الرجل الذي قال بباريس يوما:

حطّموا

لغموا الجسور

كي نرقص آخيرا

ثم أضاف عقب ذلك:

في الزوايا الأربعة للعالم

استمع وسأنادي عليك.

كان ينادي على السلام.

******

أفضل الثلج. الثلج الذي دنسته الوحوش.

لقد سرقوا منا كل شيء.

أنا متيقن من أن قطعة الحطب التي تشتكي حين تشتعل في مواقدنا تروي غضب وحنين الأشجار التي غدت أخمصا في بندقية أو عصا للقمع. وحتى الرعد. لو كان قيل للرعد يوما أن الكهرباء سوف تحول عائلة "روزنبرغ" Rosenberg إلى كمشة كربون لكان صرخ عاليا: تبا. لقد أسيء استعمالي...

أعرف تمام المعرفة حزن السواقي. فنحن ندفع دوما للسيد "شوبير" القوة المائية ثمنا للسمك الرديء.

******

سوف أعيد كلامي.

هناك بعض الصيادلة الذين ليست لهم صيدلة لكن عقاقيرهم لا تصاب بالضجر داخل الأدراج.

كذلك هم الشعراء.

أنتم الصيادون الذين لا تمسكون الأسماك إلا لتمنحوها مياها أعذب.

أنتم الصيادون الذين لا تلاحقون القبرات إلا لمداعبة مشروع أحراش أكثر راحة.

أيها الشعراء المجانين بعض الشيء، أصحاب الحكمة البليغة. أنتم ربان "المغامرة العادلة" على درب الأفكار لكم حق الكلام الآن.

البعض يستحوذ على جبل افرست والبعض الآخر على زهر اللؤلؤ، على فكرة أبهى من سمكة الفجوم. على خاطرة أكثر درامية وسمو من صورة البلبل المنحني الذي راح يمنح ضوء القمر بعض النغمات التي سوف يهديها لصديقه "بيرو".

ليس في مقدورك يا صديقي الشاعر سوى الاستحواذ على "المغامرة العادلة".

لكل غابة مكتشفوها.

أنت "المغامر" الذي تطارد حيوان الأروي البليد والعنيف في آن. حين أقول تطارد معناه أنك تخرجه من زاويته و تفرض عليه سيادة الغزالات.

أنت المغامر الذي تزوج الملحمة الساحرة.

أنت "كريستوف كولومبس" أكثر حكمة، متسلق جبال الهدوء، غواص في العقل الحقيقي، ليس لديك نزعة سوى الثأر للأشجار التي وشحت حديثنا منذ قليل.

أنت رجل في خدمة الرجال.

قبل أن يغادرنا "فوسيك" Fussik... كان طلب منا توخي الحذر.

في زمن الاحترام لا يكون الحذر سوى بالسلاح.

أيا صديقي الشاعر. أنت أكبر من أن تكون ضيق التفكير ثم أن احتقارك للحمقى يدفعك للحذر.

******

إلى جانب الباقات أنا.

الشاعر أكثر من متحزب، فهو يحلق فوق وطنه مثل نسيمات الحرية.

النسمة مشبعة بالوطنية ونشيدها وطني أيضا.

لا تبعث الغيرة لدى الأصابع فما تهمني هي اليد.

ما علي سوى التلويح بقبضتي وها أسراب النحل قادمة.

مالك حداد

كليرمون فيرون. أفريل 1956.

هوامش

* Kateb Yacine, Le Cadavre Encerclé, Editions Esprit, juillet 1954.
** Louis Aragon, "Un roman qui commence" in Lettres Françaises.
*** Julius Fussik, Ecrits sous la potence, Editions Seghers.



باحثا عن السمو كنت

فلا تنصت إذن

ها أنا أندد بالزهرة المنتهية فوق الصخور

كم يسعد الشاعر الصامت

لكن وجب الكلام الآن

لي من الذكريات عشرة ملايين

أو ربما أكثر

إني أشتكي من عطر الزهور الذي سأكتشف

وأنا على مقعد الطائرة اللعينة

غمرني اليأس

إننا لا نحب أبدا بما فيه الكفاية

أمتص فكرتي مثل قطعة خشب

حلمي الجنائزي يصاحب الليل

الليل الذي يجب أن نغتال

الليل الذي يجب أن نغتال

حتى الحياة

خائف أنا

أنصت إليّ

سنذهب لرؤية أصدقائنا الموتى

قرية توارت

وفوقها كل الشقاء الممكن

ذكرى معقوفة كالمسمار

أمل مكسور أكثر من زجاج المطر

الغزالة المذعورة كانت تعرف الأسطورة

الخراف الميتة والرجال الذين سُرقوا

سنذهب لرؤية

الورشة الجهنمية لصناع المغامرات

المالانهاية المفروضة على موت النسغ

والمذاق الفظيع للعادة المكتسبة

مع هذا نعيش

أحس بالضجر كل مرة أكون

بمنأى عن عاصمة الجزائر

سنخترع تقويمات زمنية أخرى

سنصهر بعض الكلمات في نعوش الأصدقاء

وبأكفانهم التعيسة نمسح الدموع

سنقول لأطفالنا اليتامى ألف مرة

سوف تلدون أطفالا سيعرفون آباءهم

وسيقولون

أن وطني هو الرجل

اكتفى قلبي بتجاوزاته

وأنا أحس بالضجر في كل مرة أكون

بمنأى عن عاصمة الجزائر

لاحقا

سننظم مقاطع للغناء

أتقزز من البارود

وأفهم في البارود

لكني أفضل خطوبة الزنبق في شهر مايو

شهر يذكرني بقالمة

ولا وجود ليوم فيه غير مشهود

هناك في الدروب المؤدية نحو الفجر

أفتش عن اسمي بين شاهدات المقبرة

حاترا

من الماضي الذي يحضر مستقبلا

وكنت دوما أنسج الخرافات

على وقع أنغام قادمة

أترغب في أشعة الشمس؟

هاك بعضا منها

تعال

هذي ابتسامتي إليك يا قطي الصغير

السماء زرقاء

والبحر روى لنا

ضياعي في عينيك

أترغب في أشعة الشمس؟

هاك بعضا منها

تعال

هذي ابتسامتي إليك يا قطي الصغير

لي صباح من أجل الشمس

أهديك نهارا

أتوسل الموجة

كي لا تغرق

كي تذهب صوب وطني

وتروي له حبي الكبير

لا شيء ظاهر

لا شيء خفي

لحظة الحفلة تبدو الموسيقي دون موسيقى

أستمع لأغنية ما كتبتها

لقد سرقت الأغنية

أتحدث بكلمات تخرج من أفواه الآخرين

يتيم إلى القبلات كلما نأى عرش الفجر

لن يغني طائر الصفراية أبدا

لا تحترق الأجنحة إلا بعيدا عن الشمس

لا يبدأ الليل إلا بعيدا عن الصباح

للكلاب في منفاها بكاء بربري

حين أحب هزارا

نود أن ينتج أسطوانة

ومن ثم



أعرف

بأنهم يسرقون الغابات...

أوِد التبسم للأغنية

التي رغم كل شيء ستقول

أن العازف ما كان راضيا

المسيرة الكبرى

أنا نقطة النهاية في رواية تبتدئ

وداخل مقلتي

احتفظ بقصة حبي خاما

ودون التنكر لشيء منها

أبدأ من جديد.

ما جدوى التمييز بين الأفق والسماء

هل نستطيع فصل الرقص عن الغناء

هذا برنسي امتدادا لبيتي

أنا نقطة النهاية لرواية تبتدئ

من صحرائي أنسج الأغاني

أحتفظ بقصة حبي

خاما

داخل مقلتي

تقول حقيقتي

أنا الدرس وأنا التلميذ.

******

كثيرا ما تذكرت

راعيا كنت

وبعيني يمتد صبر طويل

لفلاح يتأمل في يدين ترفضان الانكسار

تاريخ وطن

حيث سينمو البرتقال

كثيرا ما تذكرت

راعيا كنت...

قطعتُ الكسرة

تقاسمت حبات التين

زوجتُ بناتي

ابني البكر هو الأمهر على الزناد

زوجتي أجمل نساء الوادي

******

للوطن في أرضنا طعم الغضب

داعبت يدي قلب شجرة الزيتون

ذراع الفأس فاتحة الملحمة

رأيت جدي "المقراني"

يضع سبحته جانبا

ليرى النسور المحلقة في السماء

للوطن في أرضنا طعم الأسطورة

******

أبتاه

لم حرمتني طعم الموسيقى المشتهاه

أنظر الآن

هذا أنا

ابنك

أتعلم النطق بلغة أخرى

بكلمات حفظتها يوم كنت راعيا

******

يا إلهي

هذا الليل

ما أطول الليل في عيني

للأم ينادون "يا مّا" و أنادي "ما مير" Ma mère

أضعت برنسي

بندقيتي

قلمي

اسمي أغرب من سلوكاتي

يا إلهي

هذا الليل

ما جدوى التصفير

خائف أنت

خائف أنت

خائف

وهذا الرجل يلاحق خطواتك

كالمرآة الشنيعة

رفاقك في المدرسة

والشوارع

وسواقيها

ولكن

ما دمتُ قلت لكم بأنني فرنسي

أنظروا إلى ثيابي

ولغتي

وبيتي

أنا الذي من النسب أقيم مهنة

وأقول "تونسيا" إشارة إلى تاجر

أنا الذي أعرف أن اليهودي جندي رديء

هل نحنَ من الأهالي؟

كفانا

أختي لا تضع خمارا

ولي من الثانوية كل الجوائز

في مادة اللغة الفرنسية

اللغة الفرنسية اللغة الفرنسية.. بالفرنسية

يا إلهي

هذا الليل

ما آطول الليل في مقلتي.

في يوم هو الثامن من مايو

إذن

دوري أيتها الأرض

واصخبي آيا رعود

لقد تركت آخطائي في غياهب قبوري

ذات يوم

كان الثامن من مايو

كم يصل حجم الضريبة

كي نفهم

وكم يكون عدد المعلمين لمثل هذا الدرس

وكم عازفا نحتاج كي نستعذب الموسيقى !

ذات يوم

كان الثامن من مايو...

كما ينقص المرآة مجدها الكامل

في غياب عيون الطفل

حيث تتتابع عيوننا

كما ينقص في الغلبات العشاق الكثيرون

كي يقولوا لرياح المساء كم كانت تحميهم

كما ينقص الباخرة المغادرة شراعها

والمنديل الذي يعلق بالذكرى

وكما ينقص النوع البشري رجل

فأنا كنت بحاجة لحديقة لأزهاري

لعطر لأزهاري

وبعدها بحاجة إلى بستانيّ

لأصدقائي عيون رأيتها غاضبة

لأصدقائي عيون لمحتها دامعة

أصدقائي الذين يخيطون العـلم الوطني

ريح عاتية

واقفة

عريضة

تاريخية

تمنحنا عنفوان الشباب

كي نثأر لشعراتنا البيضاء

آه

نحتاج إلى خصائل النحل

كي نستحق العسل

كي نغني للأصدقاء.

أعرف تماما

أن "مدريد" لم تمسح دمعها

لم تنشف دمها

أعلم جيدا

أن هناك بالقرب من "غرونوبل"

منصة كبيرة للشرف

وأعرف أنهم قد فقأوا عيني مدينة "سيول"

وحقول الأرز في الهند الصينية

والسنفونية الحمراء لنواب "مدغشقر"

نفي سلطان أو شيوعي

أعلم اليوم جيدا

أننا نشترك جميعا في احتكار الشقاء

أبدا بحساب أصدقائي واحدا واحدا

مات كل أصدقائي

أكف عن الحساب

ومع الناتج الفظيع

وعندما ابلغ اللانهاية

أكف عن الحساب

حين تتحول الكلمات إلى أرقام.

أستمع إلى أغنية لن تجيء

قلبي يتيم رقصة خائفة

سلطان مايو كنتُ

لما أحببتني

ها عاشق النسيمات يختار العاصفة

اخترت البسمة التي تطهر قلقي

من أحزان تروى

اخترت البسمة

ليقفز حزني فوق تيار جارف

ويسبح ضد مائه

من أقاصي الزمن أسمع صوت الفلامنكو

وأنادي الحزن كي أشبعه ضربا

سلطان مايو كنت

يوم كان الطقس جميلا

وحيدة كانت غزالتي في عمق الصحاري

أستمع لأغنية لن تجيء

والمطر يساقط

فوق شمس تجيف بسمتها

في كف الماضي

والمطر يساقط فوق حبي

الذي لم يعد يسمي نفسه

يوم كنت سلطان مايو.

لاحقيقة غير الحب الكبير والموسيقى

أعرف أن في الحب حيرة بلا حدود

نحتاج لصحراء

ولصحراء كي نفهم الموسيقى

لنظرة من عينيك كي نفهم اللانهاية

على اليابسة

يلعب الطائر دور المجنون

يحتقر بعض الشيء الحب الذي كان سينقر

إنه الطائر الأزرق

السراب

الذي يستحيل إلى أغنية

كنت ابتدعتها منذ قليل

ذات صباح ضاحك

تعرفت على أغنيتي

كانت كئيبة

قالت: بنفسجة

صدقتها حبات الفراولة

وغنت أغنيتي

استعدت رشدي حين أضعت عقلي

صرخت

والقارورة المغادرة صوب البحر

تمادت في رقصها

في إحدى زوايا الحلم

حلم متعب

يعلم جيدا أن جنونا ما يعتري الصحراء

فتعتقد أنها شاطئ

ناديت

كان يجب أن أنادي

هالتي سحابة

وطائرتي ترقص في عينيك

تطلب شرارة

نجمة الخلاص في خاتمة الشفق.

جسد الغريق يجرفه الماء

شعره يحيك قصب حلم يسيل

وحده الطائر يحرسه

إلى إحدى زوايا الحلم ينقل روحه

هناك

حيث يستطيع الغارقون الغناء.

هنا ينتهي التنافر

وبين ذراعي تنمو الإنسانية

من قبل

كان هذا ما قبل تاريخي

لحبي طعم العوالم الراقصة

نسافر داخل الموسيقى

لنوحد الرجال

هل فيكم من يشرح لي

تألق الموت

فخامة الحياة

لي مهمة

إني أغني

مبدئي حب الغناء

أمنح عطلتي لخدّام الشقاء

تعالوا أيا أطفال

أنسج لكم حكاية

اقطف نجمة وأكتب الكلمات

كان يا ما كان

هناك

في وطني

صديق الطفولة

طفل

يرجو بالونا

كانت عيناه كالأرض المدورة

قتلوه في سجنه

دون بالونه

وكلما رأيت الآن بالونا

لا أصدق أبدا أن الأرض مدورة

لي مهمة

ولي أن أصغي للأرض...

جئت حينما جئت كالعاصفة

وأعود أدراجي قطرة قطرة

أذهب

أغادر

أمنح الحق للحمقى

أعلم أننا نموت لأننا عشنا

هذا شاعر هنا

وذاك شاعر هناك

بليدا أن نموت بعيدا عن قبورنا.



سكوت

عند حدود الموهبة

جمركي يمارس مهنته

فكرة تعبر الحدود

لم يكن لديها ما تصرح به

أيتها المومس فوق ورق القضيم

أحذرك أيتها العجوز

سوف يرمي التاريخ في مزبلة النسيان

أعقاب سجائر الأدب

والأبواق الصدئة.



صـور

أذكر

كانت السبل زرقاء

وكان البحر طيبا

بابتسامة فظة

يوشح وجهه الجبل

تتملك يدك رعشة

مثل القلق

كان الطقس حارا في القبلات

والعنب ورديا

شلالات ضفيرة بللت عيني

على الطريق بقيت نغمة المندولين

هجرني الحلم

حين المساء في عيني استراح

لأن الشلالات لها طعم انبلاج الصباح.

ما كتبت يوما سوى لأستحق أمي

أمي أبدا جميلة

دائما كنت أرافقها

ينادونها "حمامة"

وبالعربية ذاك اسمها.

حين يذهبون في الأسطورة

تفتح الأسطورة لهم ذراعيها

كنت حدثتهم

كنت أحسست بلمسة أياديهم

كان لهم أطفال

وآخطاء

يحسنون الابتسام

حتى في عز الظلام

كنت ألقاهم حينما أشتري الجريدة

كانوا لي أصدقاء

لم يكونوا مجرد كلمات

أو أسماء

أو أرقام

كانوا ألف يوم وعشرة سنوات

من ذاتي

الأكل الذي نتقاسمه

سيجارة الضجر

كانوا يعرفون أبنائي جميعا

وكنت أمنحهم كل قصائدي

وكانت أمي تحب طيبتهم

كانوا أصدقائي

تحدثت إليهم

حين يذهبون في الأسطورة

تفتح الأسطورة لهم ذراعيها

صاروا روحًا و وطنًا لي

لن ألتقي أبدا أصدقائي

صديقي المنجميّ

وابتسامته التي تضيء مرارة النظرة فيه

وصديقي الجزار

والمعلم

معذرة لكم جميعا

لأنني على قيد الحياة

لكنني أكثر يتما من ليل بلا قمر

حين يذهبون في الأسطورة

تفتح الأسطورة لهم ذراعيها .

فوق الطاولة مصباح أحمر

وعند قدميّ الكأس

يرقص ظلك.

إني أتألم

أعيدوا إليّ المرج

قالت الزهرة

زهرة الحرية

يقول الدوري

يصيبني الضجر داخل البيانو

أعيدوا إليّ الغابة التي اسمها

الموسيقى

تقول كلمة "أحبك"

إني أتألم

يتملّكني الملل فوق الورق

أعيدوا إليّ القبلات / مخطوطاتي

قالت الصورة

يعتريني السأم

أعيدوا إليّ بسمة

لحظة ابتسمت عيناي

كم يؤلمني أن أكون مرآة

قالت لي الصورة المتوشحة بالحياة.

مات رفيقي وسط القيثارات

وفي أغنية للقمح

كم غريب

فقد كان شابا

كان جزائريا

كتب حكايتي الجميلة

كان أفصح من أغنية القمح

كان بودّي أن أقول شكرا

عازف أنا

ما دامت الموسيقى تشع منه

أبقى في حالة الاستعداد

أمام الحلم الذي سننجزه

وأقول لك شكرا

في القمح

الآن

أعرف اليعسوب

أيها الينبوع

انتقم له

نفّرنا من الجرار

أيا زهرالخشخاش ارتم بين ذراعيه

قل له

أن يحلم بالقصيد

نفّرنا من الجرار

وامتلئ بالبارود أيا هذا القلب.

المطر يبلل وطني

الموت

والأسطورة

سنبلة تكفي

كي يغني القمح

لحظة تكفي

كي يحط الليل

وأخرى كي يولد النهار

الخبز

نأكله

بألف تردد

بمائة شكل من الحذر

رجلّ

أحد الأصدقاء

ينام في الأسطورة

يا أمي

الآن وجب البكاء...

وجب أن تبكي هذا الطفل

الذي صار ابنك

منذ اختار أن يناديك

أمي

فباسم مواسم الجني سمّاك

أمي

ومن ثديك ذاق طعم الضياء

المطر يسّاقط على الأسطورة

وأسطورتي تؤلمها عيناها

تخاف الموت

حين تهيج الغربان

شهية طيبة أيها السادة

فهو لم يكمل الثلاثين من العمر

كان صديقي

صاحب النظرة الممتدة الواقفة

لكن الغربان تسرق البذور

والفلاح يعرف

فخاف على ثلمه

لكن النسور تحصد القمح

وقلبي يعرف

فخاف على أغانيه

حلم ساخن

في أرض الجزائر

خياط الأعلام هو زارع القمح

في الحرب

رأى أن الحرب عين المنطق

ولكي يطرد الشتاء

فضل أن يموت في الصيف

أنصتُ لأغنية ما انفكت تعود

أغنية الفرح التي أسمع

في أرض الجزائر

جنود الصباح هم أطفال الحُب

ينامون في حقول القمح

كي نذكرهم

أرقص آيا زهر الخشخاش

مات رفيقي وسط القيثارات.

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجبال على حق

ثقيلة خطوة الموتى

ما اسمك

اسمي جثة

كنت البارحة حيا

كانت لي بنات

شربتُ الحليب

والماء

والأكاذيب

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجبال على حق

هذي بقايا القلب

وهذي بقايا الأكواخ

وددت استنفارها مع أغنية للرجاء

أكتب الموتى

فقال لي الموتى

دعاء الموتى يتحول أحيانا

إلى مهد لأغاني الحب

وبعدها الموسيقى !!!

يا للشقاء

الآن

لم تبق غير خطوات الموتى

الثقيلة

نغمة توشح الصباحات

الشقاء الجزائري

ما أكبر هذا الشقاء

يغني أغنية الغد المنشد

تقاعس الإنسان

ثم بكى في خضم الفرح

يتشنج الموتى من القهقهات القادمة

على الكوخ المحترق

يغرسون الأغنيات

وفي دمهم

السواقي

وفي عيونهم

البحر الباقي

ها قمع المجاعة ينشد لحن الفلامنكو

أيها الراعي

وجب الغناء

المشاعل رجال

يتشنج الموتى من القهقهات القادمة

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجبال على حق

يحميكم الموتى

الذين لهم القدرة

والشرف العظيم

حين رضوا لنا الحياة

مثلما نحن نضع زهرات

فوق الصخرة الهادئة

إني أتمنى

دون أن أعتنق الصلاة

يقيني كبير في الفرح

الفرح الذي سيكون جزائريا

فرح تلك القرية

أين سيولد أطفال

يتوجهون إلى المدرسة

من فرحه جُن الفرح

مثل السعادة الأولى

فرضيتي عين اليقين

انتصبوا عاليا يا رفاقي

فالجبال على حق

حفلات الزفاف والحلوى

سيقف جميعنا

وتذهب الجبال كي ترتاح قليلا

الفرح يغمر وطني

المناديل تصبح للزكام

لا للأحزان

القماش يصبح للفراش

لا للأكفان

الفرح

أسهل من كلمة

"صباح الخير"

في اليوميات الرائعة

في المنزل الذي سيشيّد

أو الذي سيعاد ترميمه

سيكون للفرح

اليتيـــــم

أمّ.

الآن وأنا أحيا

من أجل الرياح العاتية

آيّ

من أجلك

أشكو أصابعي كلها

والطريق هنا من أجل رجليّ

ما هذا الطريق الذي تسلكه الشموس

حيث القمر على حق

حيث القمر يحمي البشر

باريس لا تفقه شيئا

عندما ترى أن باريس هي حجتها

أضحكُ

حين تدفع القطط بالفئران إلى الرقص

وأفكر في الإله

الذي لم يستوعب كل ذلك

أرتاب من القطط ومن الفئران سواء

آعشق أكثر هذه اللحظة

مانحتي للحياة

لحظة اسمها

آنصتوا

صموا آذانكم

افتحوا الأبواب على مصراعيها

لحظة اسمها

أصدقاء سألتحق بهم بعد مدة

اسمها

منزل حيث أمي تنتظر بصبر

اسمها

آه صديق القيثارات المهشمة

اسمها

الجـــــــــــــــزائر.

قلت هذا الاسم حينما ولى الشتاء

لم أخترع شيئا

ما عدا طريقتي في البقاء

كلّية ضميري المشبع باليقين

لك كل الأحجار البيضاء

من المجازة سنعبر أنهار الليل

في المعبر تسمعني جيدا

كي يجد الماء الذي يتهدده الغرق

على الضفة

من يوصله إلى الضفة الأخرى.

يتملكني الحزن حين تخطئ الباقات

حين تذبل الأزهار

أو حينما يتحول البستاني إلى حفار قبور

لكن

منذ اللحظة التي جاءت فيها فكرة

للزهرة

كي تلعن بائعي الأعشاب

أفرحُ

أفرح كثيرا

كالعصفور

الذي يُمنع من الالتحاق بمدرسة الموسيقى.

جندي وخطيبته

ينظران في عيني بعضهما البعض

فاضت عينا باريس بالدمع

كان العسكري الصغير

مثل مقطع موسيقي مهشم

كان ذاهبا للحرب

أمطرت في سماء باريس

وفي عيني خطيبته

جندي والقدر

يحدقان في عيني بعضهما البعض.

كنيتي في الحرب

"الحمامة"

هذا ممتع أليس كذلك.

الخريف في راحة يدي

مثل العصفور

وفي دموعك أبكي كالعصفور

هل تذكرين الصيف

أشجار الصنوبر الراقصة

البحر عند أقدامنا

القبلة الملحّة

الخريف في راحتي

- ما الذي قلته يا حبيبتي؟

- عشرون قتيلا

في قريتي...

عامل من شمال إفريقيا

مات اختناقا في كوخه

خاتمة أغنيتي الأولى

شهقة

فاطمة باعت جسدها

بقطعة خبز

والتاريخ يُكتب

بجمع تفاصيل تافهة

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

هذي السماء كفن

لكنها لنا

الشعلة

الأحد المفقوء العينين

الربيع المسلوب من أشيائه

لا وجود ليوم لا نذكره

موسيقى الشقاء رسمت سمفونيتي

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

كان لي رفيق

لكن المسكين اختار

إضاعة رفيق له

رأيت السنابل تحني الرؤوس

والخراف تعشق الذئاب

ذهبت ابتسامتي قاصدة الحج

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

أضعت الكثير من أيام الخميس

في عينيّ المسافرتين

وربما هناك في "سيول"

كانت خطيئتي

قالوا شعرك بني

على وزن أنت قاتل

وبعدها فقأوا عيني قيثارتي

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

أنا خلقت كي أحاور البنفسج الوديع

طرّزت رقصة الفالس فوق الصدار

المرصع بالأزهار

لكنني

رأيت ذاك الفلاح

يتحول إلى قاطع طريق

حين أحب زوجته

كما أحب الوطن

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

لمحتُ مدينتي

حالة الحصار

وزحف الساعة نحونا

يعني

أن الشمس اختارت مهدها

في نواحي المشرق

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

جاري المفضل عندي

ما زال جنديا

لم ير بعد

الفرح الذي حضَره

والحفلة

لأولئك الذين تقام لهم الحفلات

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

تحمل أمي و الحمامة نفس الاسم

تبكي أمي كل يوم

شعراتها البيضاء رجال درك

تعرف أمي الأغاني

التي ننصت إليها بصوت منخفض

سهلٌ أن نضع كل شيء

على ظهر الشقاء

لكن بربكم اخبروني

ما اسم هذا الشقاء

خبّروني

عن القبلة التي ما أخذتْ

خبروني

عن الصحراء التي لها الأغاني نسجتُ

خبروني

عن الغزالة التي اغتالها الإنسان

خبروني

عن الزهرة التي من دون بستان

حدثوني

عن سبب الآلاف من الجنون

خبروني

عن الخمرة التي نعب عند الخوف

خبروني

عن وجل الأسود في المنفى

أخبروني قبل كل هذا

كيف حال الجـــــــزائر.

أمنحك شاطئا

البحر المغمى عليه

وهذا العصفور الميتم

وبعدها

لك قلبي

الذي لا يحسن القتال

حينما تعرفتُ على قلبي

كان يشبه الصيني الصغير

والشمس تضحك ضحكتها الصفراء

كلما أرسلت يدك الكلمات.

مهمة مكتملة

عند عودة السلم

تقول الحمامة

أتركوني و شأني

أستحيل إلى طير من جديد .



المترجـــــم :

عبد السلام يخلف، حاصل على شهادة الماجستير في الدراسات الدولية من جامعة ساوثامبتن البريطانية ويحضر لشهادة الدكتوراه. صحافي عمل في الكثير من الجرائد، مهتم بالقضايا الثقافية وخاصة الأدب والفنون التشكيلية. مصور هاوي أقام الكثير من المعارض في مختلف مدن الوطن ونال الكثير من الجوائز، يكتب الشعر والقصة ويهوى أدب الرحلة والترجمة. أستاذ بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة قسنطينة.

ikhlefabd@caramail.com

مالك حداد

الشقاء في خطر

أمنحك شاطئا
البحر المغمى عليه
وهذا العصفور الميتم
وبعدها
لك قلبي
الذي لا يحسن القتال

إننا لا نحب أبدا بما فيه الكفاية
أمتص فكرتي مثل قطعة خشب
حلمي الجنائزي يصاحب الليل
الليل الذي يجب أن نغتال
الليل الذي يجب أن نغتال
حتى الحياة

isbn : 9947-804-14-3
Dépôt légal : 1298-2005

مديرية الفنون والآداب
صندوق دعم الابداع

السعر 100 دج